قِصَصٌ عَجِيبَةٌ

لكِنّها واقِعيّةٌ إيمانِيّةٌ

جمع

العبد الفقير إلى الله الغني

عَبدُ الرّحمن طه عَبدُ القادِرِ الحبَشِيّ



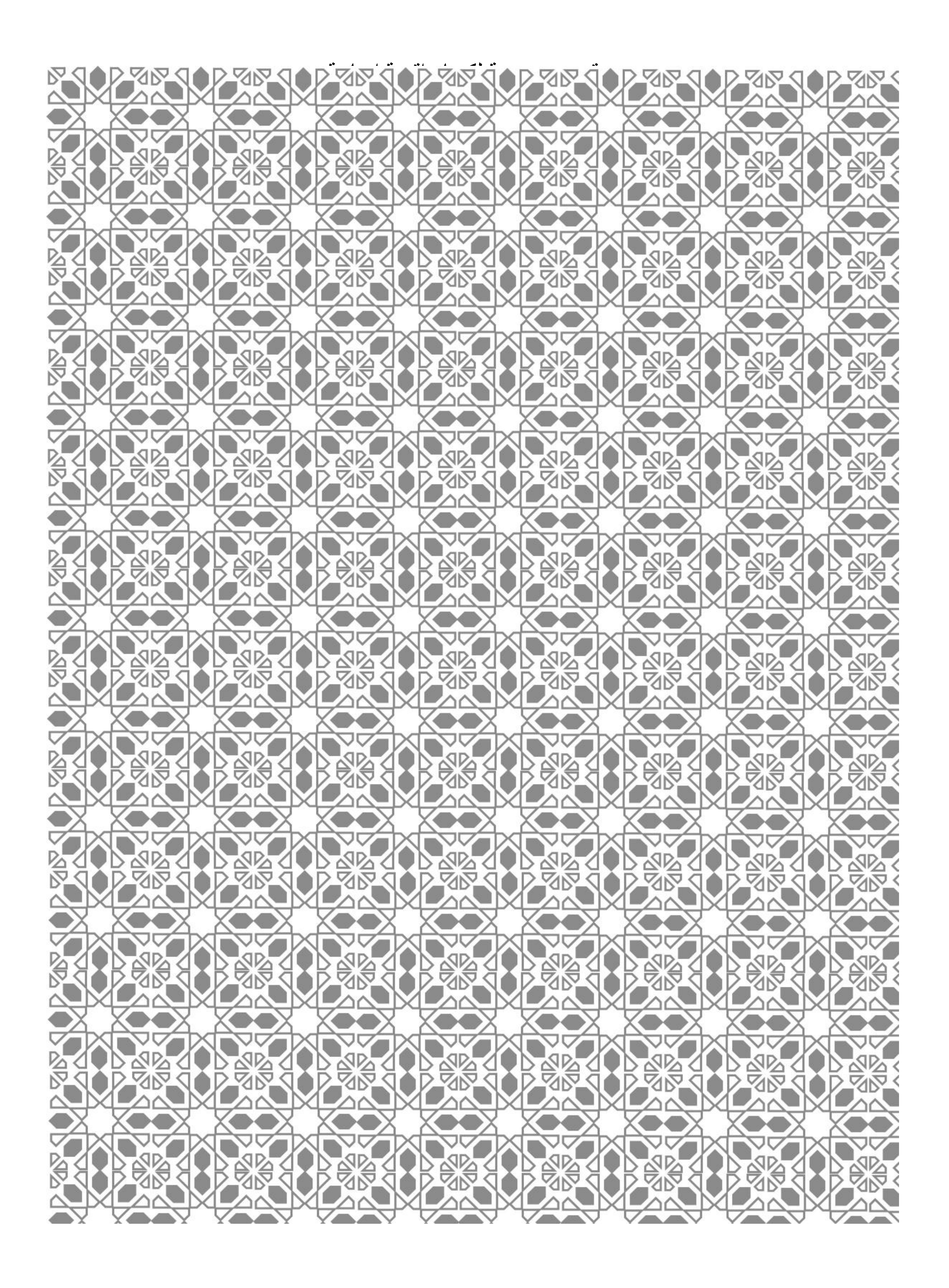
قِصَصٌ عَجِيبَةٌ

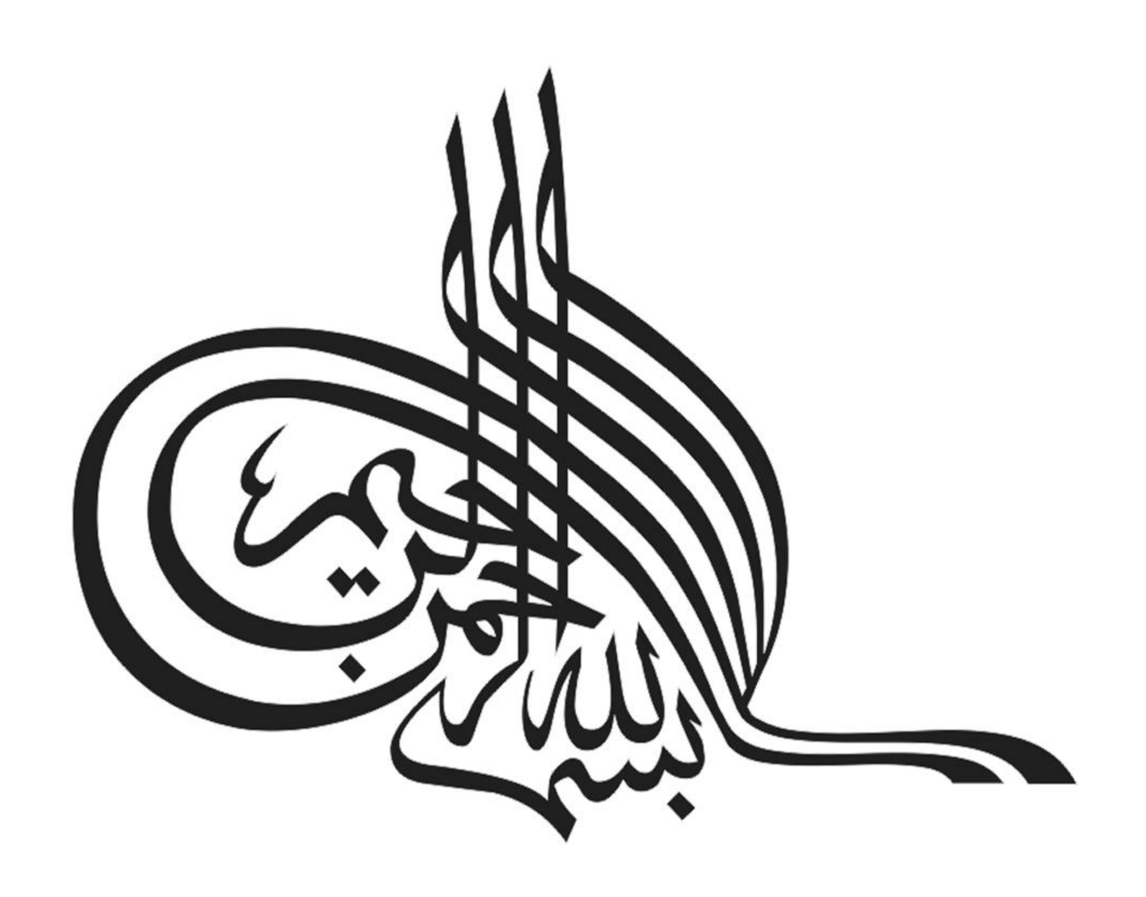
لَكِنَّهَا وَاقِعِيَّةٌ إِيمَانِيَّةٌ

جمع

العبد الفقير إلى الله الغني

عَبْدُ الرَّحْمٰنِ طٰه عَبْدُ الْقَادِرِ الْحَبَشِيّ




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد؛ فقد حصلت النّية في جمع بعض القصص الوعظية المؤثرة تكون لي ولأمثالي عبرة وعظة، أكلّف نفسي العمل بما تحدو إليه والتحقق بها تدعو إليه، وأقارن بينها وبين حالي وحال أهل زماني، وأعرف بذلك تقصيري وعجزي؛ ولأن القصص وحكايات الصّالحين لها تأثير في قلوب المؤمنين. قال الجنيد: الحكايات جند من جنود الله تعالَى يقوى بِهَا قلوب المريدين، فقيل لَهُ: فهل لَك فِي ذَلِكَ شاهد؟ فَقَالَ: نعم؛ قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ۝١٢٠﴾ [هود: ١٢٠].

وهذا أوان الشّروع في المقصود بإذن الواحد المعبود:

القصة الأولى

قيل: تشاجر أَبُو ذرّ وبلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فعير أَبُو ذرّ بلالا بالسّواد، فشكاه إِلَى النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يا أبا ذرّ، إنّه بقي

فِي قلبك من كبر الجاهليّة شَيْءٌ»، فألقى أَبُو ذر نَفْسه وحلف أَن لا يرفع رأسه حَتَّى يطأ بلالٌ خدَّه بقدمه، فلم يرفع حَتَّى فعل بلال ذَلِكَ[1].

القصة الثانية

وفي كتابه الزّهد للأمام أحمد بن حنبل: عن مالكُ بْنُ دِينَارٍ قَالَ: لَمَّا أتى عُمَرُ رضي الله عَنْه الشّامَ طافَ بِكورها قال: فنزل بِحضرةِ حِمْصَ، فأمر أن يكتبُوا له فقراءَهُمْ قال: فرُفِعَ إليه الكتابُ، فإذا فيه سعيدُ بْنُ عامرِ بْنِ جُذَيْمٍ أمِيرُها، فقال: مَنْ سَعِيدُ بنُ عامرٍ؟ قالوا: أميرُنَا، قال: أميرُكُمْ، قالوا: نَعَمْ، قال: فعجب عمرُ، ثمّ قال: كيف يكون أَمِيرُكم فقيرًا؟ أين عطاؤُه؟ فأين رزْقُهُ؟ فقالوا: يا أَمِيرَ المؤمِنِين، لا يُمْسِكُ شَيْئًا، قال: فبَكى عُمَرُ رضي الله عنه، ثمَّ عَمَدَ إلى أَلْفِ دِينَارٍ فصَرَّها، ثم بَعَثَ بِهَا إليهِ، وقال: أَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وقُلْ له: بعث بِهَذِهِ إِلَيْكَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ تَسْتَعِينُ بها على حاجتِك !، قال: فجَاءَ بها إليْهِ الرَّسُولُ، فنظر فإذا هِيَ دنَانِيرُ، فجعل يَسْتَرْجِعُ، قال: فقالتْ له امْرأَتُهُ: ما شأْنُكَ يا فُلَانُ؟ أمات أَمِيرُ المُؤْمِنِين؟ قال: بَلْ أَعْظَمُ من ذلك، فقالت: فظهر مِن آيَةٍ؟ قال: بلْ أَعْظَمُ مِن ذلك، قالتْ: فأَمْرٌ مِن أَمْرِ السَّاعة؟ قال: بلْ أَعْظَمُ مِن ذلكَ،

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨١).

قالَتْ: فَمَا شأْنُكَ؟ قال: الدّنْيَا أَتَتْنِي، الفِتْنةُ دخلتْ عليَّ، قالتْ: فاصْنَعْ فيها ما شئْتَ !، قال: عنْدَكِ عَوْنٌ، قالتْ: نعمْ، قال: فأخذ بِعَةً لَهُ فصَرَّ الدّنانِيرَ فيها صَرًّا، ثمّ جعلها في مِخْلَاةٍ، ثمَّ اعترضَ جيْشًا منْ جيوشِ المُسْلمينَ، فأَمْضَاها كلَّها، فقالتْ له امرأتُهُ: رحمكَ الله، لَوْ كنتَ حبسْتَ منها شَيْئًا نستَعِينُ به؟ قال: فقال لها: إنّي سمعْتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «لَوِ اطّلعتِ امْرأَةٌ مِنْ نساءِ أهلِ الْجَنَّةِ إلى أهْل الأرضِ .. مَلأتِ الْأَرْضَ رِيحَ مِسْكٍ»، وإنّي واللهِ ما كنتُ لَأَخْتَارَكِ عليهنّ، فسكتَتْ[1].

القصة الثالثة

قال سفيان الثّوريّ: استعمل محارب على القضاء، فبكى أهله، وعزل عن القضاء، فبكى أهله[2].

القصة الرابعة

ذكر المسعوديّ عن الزبير بن بكار أن أخوين في الجاهليّة خرجا مسافرين، فنزلا في ظل شجرة بجنب صفاة، فلما دنا الرّواح، خرجت

(١) الزهد (ص: ١٥٢).

(٢) سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (٥/ ٢١٨).

لهما من تحت الصّفاة حية تحمل دينارا فألقته إليهما فقالا: إنّ هذا لِمن كنز هنا فأقاما ثلاثة أيام، وهي في كل يوم تخرج لهما دينارا، فقال أحدهما للآخر: إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه وقال له: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال، فأبى عليه وأخذ فأسا ورصد الحية حين خرجت فضربها ضربة جرح رأسها ولم يقتلها، فبادرت إليه الحية فقتلته، ورجعت إلى جحرها فدفنه أخوه، وأقام حتى إذا كان الغد، خرجت الحية معصوبا رأسها وليس معها شيء، فقال: يا هذه، والله إني ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فلم يقبل، فهل لك أن نجعل الله بيننا على أن لا تضريني ولا أضرك، وترجعين إلى ما كنت عليه أولا؟ فقالت الحية: لا. قال: ولم؟ قالت: لأني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة[1].

القصة الخامسة

وفي حلية الأولياء[2] للحافظ العلامة أبي نعيم رحمه الله تعالى، في ترجمة سفيان بن عيينة، عن يحيى بن عبد الحميد قال: كنت في مجلس

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٩٤).

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٩٣).

سفيان بن عيينة ، وكان في مجلسه ألف رجل يزيدون أو ينقصون، فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه، فقال: قم فحدث الناس بحديث الحية !، فقال الرجل: أسندوني، فأسندناه، وسالت جفون عينيه، ثم قال: ألا فاسمعوا وعوا ، حدثني أبي ، عن جدي، أن رجلا كان يعرف بمحمد بن حمير، وكان رجلا معه ورع، يصوم النهار، ويقوم اللّيل، وكان مبتلى بالقنص، فخرج ذات يوم يتصيد، إذ عرضت له حية فقالت له: يا محمد بن حمير، أجرني أجارك الله، قال لها محمد بن حمير: ممن؟ قالت: من عدوي قد طلبني ، قال: وأين عدوك؟ قالت له: من ورائي ، قال: من أي أمة أنت؟ قالت: من أمة محمد ﷺ ، نشهد أن لا إله إلا الله ، قال: ففتحت ردائي فقلت: ادخلي فيه، فقالت: يراني عدوي، قال: فشلت طمري فقلت: ادخلي بين أطماري وبطني، قالت: يراني عدوي، قلت لها: فما الذي أصنع بك؟ قالت: إن أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أنساب فيه، قال: أخشى أن تقتليني، قالت: لا والله، لا أقتلك، الله شاهد عليّ بذلك وملائكته، وأنبياؤه وحملة عرشه، وسكان سماواته إن أنا قتلتك، قال محمد: فاطمأننت إلى يمينها، ففتحت فمي فانسابت فيه، ثم مضيت إذ عارضني رجل ومعه صمصامة، فقال: يا محمد ، قلت: ما تشاء؟ قال: لقيت عدوي؟ قلت:

وما عدوك؟ قال: حية، قلت: اللهم لا، واستغفرت ربي من قولي لا مائة مرة، وقد علمت أين هي، ثم مضيت أقول ذلك إذ قد أخرجت رأسها من فمي ، ثم قالت: انظر مضى هذا العدو!، فالتفت فلم أر إنسانا ، فقلت: ليس أرى إنسانا ، إن أردت أن تخرجي، فاخرجي، قالت: انظر مليا!، قال محمد: فرميت حماليق عيني في الصحراء، فلم أر شبحا ولا شخصا ولا إنسانا ، فقلت: إن أردت أن تخرجي فاخرجي ، فليس أرى إنسانا، قالت: الآن يا محمّد ، اختر واحدة من اثنتين!، قلت: وما هي؟ قالت: إما أن أنكت كبدك فأفتتها في جوفك ، أو أنكتك نكتة فأطرح جسدك بلا روح.[1] ، قال: قلت: يا سبحان الله أين العهد الذي عهدت إلي؟ أين العهد الذي عاهدتنيه؟ واليمين الذي حلفت لي؟ ما أسرع ما نسيتيه، قالت له: يا محمد ، لم نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم ، حيث أضللته وأخرجته من الجنة؟ على أي شيء طلبت اصطناع المعروف، قال: فقلت لها: وليس بد من أن تقتليني؟ قالت: والله إن كان بد من قتلك قلت لها: فأمهليني حتى أصير إلى تحت هذا الجبل فأمهد لنفسي موضعا، قالت: شأنك قال محمد: فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة ، إذ رميت حماليق عيني نحو العرش ، ثم قلت: يا

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء (٧/ ٢٩٣).

لطيف الطف بلطفك الخفي يا لطيف ، بالقدرة التي استويت بها على عرشك ، فلم يعلم العرش أين مستقرك منه إلا كفيتنيها ثم مشيت ، فعارضني رجل صالح صبيح الوجه ، طيب الرائحة ، نقي من الدرن ، فقال لي: سلام عليكم ، فقلت: وعليك السلام يا أخي ، قال: ما لي أراك قد تغير لونك؟ فقلت: يا أخي من عدو قد ظلمني ، قال: وأين عدوك؟ قلت: في جوفي ، قال لي: افتح فاك ، ففتحت فمي ، فوضع فيه مثل ورقة زيتونة خضراء ، ثم قال: امضغ ، وابلع ، فمضغت وبلعت ، قال محمد: فلم ألبث إلا يسيرا حتى مغصتني بطني ، فرميت بها من أسفل قطعة قطعة ، فتعلقت بالرجل ثم قلت: يا أخي، أحمد الله الذي من علي بك ، فضحك ثم قال: ألا تعرفني؟ قلت: اللهم لا ، قال: يا محمد بن حمير: إنه لما كان بينك وبين الحية ما كان ، ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السبع سماوات إلى الله عز وجل ، فقال الله: وعزتي وجلالي ، وجودي وارتفاعي في علو مكاني ، قد كان بعيني كل ما فعلت الحية بعبدي ، فأمرني الله – وأنا الذي يقال لي المعروف ، مستقري في السماء الرابعة – أن انطلق إلى الجنة فخذ طاقة خضراء ، فالحق بها عبدي محمد بن حمير ، يا ابن حمير عليك باصطناع المعروف ،

فإنه يقي مصارع السوء، وإنه إن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله عز وجل.

القصة السادسة

وذكر ابن القيم في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين»: حكاية عن موسى ﷺ: أنه في رعايته نام عن غنمه، فاستيقظ، فوجد الذئب واضعاً عصاه على عاتقه يرعاها، فعجب من ذلك، فأوحى الله إليه: «**يا موسى، كُنْ لي كما أُريدُ .. أَكُنْ لك كما تريدُ**»[1].

القصة السابعة

يقول الربيع بن خيثم: رأيتُ في المنام أن في البصرة أمةً يقال لها ميمونة تكون زوجتك في الجنة، فلما أصبح .. خرج إلى البصرة، فلما سمع أهل البصرة بقدومه .. تلقوه، فلما دخل .. قال: عندكم امرأة يقال لها ميمونة؟ قالوا: وما تصنع بميمونة المجنونة، هي ترعى الغنم بالنهار، وتشتري بأجرتها تمراً فتفرّقه على الفقراء، وتصعد في الليل على سطح لها، فلا تدع أحداً ينام من كثرة البكاء والصياح. قال لهم: فما تقول في صياحها؟ قالوا: تقول:

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٥٥).

عـجباً للمُحِبّ كـيف ينام * كـلُّ نوم علـى المحبّ حرام

فقال: واللهِ، ما هذا كلامُ المجانين، دُلُّوني عليها !، فقالوا: هي في البراري ترعى الأغنام. فخرج إليها فوجدها قد اتخذتْ محراباً وهي تصلي فيه، ورأى الغنم ترعى والذئاب تحرسها، فتعجب من ذلك. قال الربيع: فلما فرغتْ من صلاتها .. قلتُ: السلام عليكِ يا ميمونةُ، قالت: وعليكَ السلام يا ربيعُ، قلت: كيف عرفتِ إسمي؟ قالت: سبحان الله، عرّفني باسمك الذي أخبرك البارحةَ في المنام أنّي زوجتُك، ولكن ليس الموعِد ههنا، الموعد بيننا غداً في الجنة. فقلتُ لها: كيف اجتماع الذئاب بالغنم؟ فقالت: لمّا تعلق حبّه بقلبي .. تركت الدنيا عن قلبي، فأصلح ما بين الذئاب والغنم، ثم قالت: يا ربيع، أسمعْني شيئاً من كلام سيدي !، فقد اشتاقتْ نفسي إليه، فقرأتُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزَّمل:١-٢] ، وهي تسمع وتبكي وتضطرب، إلى أن وصلتُ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزَّمل:١٢-١٣] فصرختْ صرخةً وخرَّتْ ميِّتةً[1].

---

(١) موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان (٥/ ١٠).

القصة الثامنة

وَقَالَ إِبْرَاهِيم بْن أدهم: مَا سررت فِي إسلامي إلا ثَلاث مرات:

مرةً: كنت فِي سفينة وفيها رجل مِضْحاك كَانَ يَقُول: كُنَّا نأخذ العِلج فِي بلاد الترك هكذا - وَكَانَ يأخذ بشعر رأسي ويهزّني -، فيسرُّني ذَلِكَ؛ لأنه لَمْ يكن فِي تلك السفينة أحد أحقر فِي عينه مني.

والأخرى: كنت عليلا فِي مَسْجِد، فدخل المؤذن وَقَالَ أخرج !، فلم أنطلق، فأخذ برجلي وجرّني إِلَى خارج الْمَسْجِد.

والثالثة: كنت بالشام وعلي فَرو، فنظرت فِيهِ فلم أميّز بَيْنَ شعره وبين القمل؛ لكثرته فسرني ذَلِكَ.

وَفِي حكاية أُخْرَى عَنْهُ قَالَ: مَا سررتُ بشيء كسروري أني كنت يوما جالسا، فجاء إِنْسَانٌ وبال عَلَيَّ[1].

القصة التاسعة

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: حكى ابن عقيل عن نفسه قال: حججت، فالتقطت عقدَ لؤلؤ في خيط أحمر، فإذا شيخ أعمى ينشده،

---

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨١).

ويبذل لملتقطه مائة دينار، فرددته عليه، فقال: خذ الدنانير !، فامتنعت، وخرجت إلى الشام وزرت القدس، وقصدت بغداد فأويتُ بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدموني فصليت بهم، فأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا تُوفي، فصلِّ بنا هذا الشهر !. ففعلت، فقالوا: لإمامنا بنتٌ، فزُوِّجتُ بها، فأقمتُ معها سنةً، وأولدتها ولدا ذكرا، فمرضتْ في نفاسها، فتأملتها يوما فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر، فقلت لها: لهذا قصة، وحكيتُ لها، فبكتْ، وقالت: أنت هو واللهِ، لقد كان أبي يبكي ويقول: اللهم ارزقْ بنتي مثل الذي ردّ العقدَ عليَّ، وقد استجاب الله منه. ثم ماتت، فأخذتُ العقدَ والميراثَ، وعدت إلى بغداد[1].

القصة العاشرة

ومرّ الحسنُ بن عِلِيّ رضي الله عَنْهُمَا بصبيان معهم كسرُ خبز، فاستضافوه، فنزل وأكل معهم، ثُمَّ حملهم إِلَى منزله وأطعمهم وكساهم وقال: اليد لهم؛ لأنهم لَمْ جدوا غَيْرَ مَا أطعموني ونحن نجد أكثرَ منه.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (١٩/ ٤٥٠).

القصة الحادية عشر

وقيل: قسم عُمَر بْن الْخَطَّاب رضى اللهَّ عنه الحلل بين الصّحابة من غنيمة، فبعث إلى معاذ حلة يمانية فباعها واشترى ستة أعبد وأعتقهم، فبلغ عُمَرَ ذلك، فكان يقسم الحلل بعده فبعث إليه حلة دون تلك فعاتبه معاذٌ فقال له عمرُ: لا معاتبة؛ لأنك بعتَ الأُولى، فقال معاذ: وما عليك، ادفعْ إليَّ نصيبي وَقَدْ حلفت لَأَضربَنَّ بها رأسَك، فقال عمرُ: هذا رأسي بَيْنَ يديك.

القصة الثانية عشر

وَقَالَ بَعْضهم: رأيت فِي الطواف إِنْسَانا بَيْنَ يديه شاكريه يمنعون النَّاس لأجله عَنِ الطواف، ثُمَّ رأيته بَعْد ذَلِكَ بمدة عَلَى جسر بغداد يسأل النَّاسَ شَيْئًا فتعجّبتُ منه، فَقَالَ لي: أنا تكبّرتُ فِي موضع يتواضع النَّاس هناك، فابتلاني اللهُ تعالَى بالتذلّل فِي موضعٍ يترفع فِيهِ النَّاسُ[1].

القصة الثالثة عشر

وَقَالَ عروة بْن الزُّبَيْر: رأيت عُمَر بْن الْخَطَّاب رضي اللهَّ عَنْهُ وعلى عاتقه قربة ماء، فَقُلْتُ: يا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ، لا ينبغي لَك هَذَا !، فَقَالَ: لمّا

---

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨٠).

أتاني الوفدُ سامعين مطيعين .. دخلتْ فِي نفسي نخوةٌ، فأحببتُ أَن أكسّرها، ومضي بالقربة إِلَى حجرة امْرَأَةٍ من الأنصار فأفرغها فِي إنائها(١).

القصة الرابعة عشر

نظر عبدُ الواحد بن زيْد إلى غلام من أَصْحَابه قدْ نحل بدِينه فقال: يا غلام، أتديم الصوم؟ فقال: ولا أديم الإفطار، فقال: أتديم القيام بالليل؟ فقال: ولا أديم النومَ، فقال: فما الّذي أنحلك؟ فقال: هوًى دائمٌ وكِتمانٌ دائم عَلَيْه، فقال عبْدُالواحِد: اسكتْ، فما أجرأك!، فقام الغلامُ وخطا خطوتينِ وقَالَ: إلهي، إِن كنتُ صادقًا فخذْني !، فخرّ ميِّتًا(٢).

القصة الخامسة عشر

وحكي عَن أَبِي عَمْرو الزجاجي أنّه قال: ماتتْ أمي، فورثتُ منها داراً فبعتُها بخمسين دِينَاراً وخرجت إِلَى الحج، فلمّا بلغتُ بابلَ .. استقبلني واحدٌ من القناقنة وقالَ: إيشْ معك؟ فقلتُ فِي نفسي: الصدق خيرٌ، ثمّ قُلْتُ: خمسون دِينَاراً، فقال: ناولْنيها !، فناولتُه الصرّةَ فعدّها

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٢٧٩).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٦٤).

فَإِذَا هي خمسون دِيناراً، فقال: خذْها، فلقد أخذني صدقُك !، ثُمَّ نزل عَنِ الدابة وقال: اركبْها !، فقلتُ: لا أريد، فقال: لا، وألحّ عَليَّ فركبتُها، فقال: وأنا عَلَى أثرك، فلمّا كَانَ العام المستقبل لحق بي ولازمني حَتَّى مَات[1].

وسُئل فتح الموصلي عَنِ الصدق فأدخل يدَه فِي كير الحدّاد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها عَلَى كفه وَقَالَ: هَذَا هُوَ الصدق[2].

القصة السادسة عشر

حكي أَنّ بَعْضهم قيل له: ما أعجب مَا لقيت فِي سياحتك؟، فَقَالَ لَهُ: لقيني الخضر، فطلب مني الصحبة فخشيتُ أَن يفسد عَليَّ توكّلِيْ[3].

القصة السابعة عشر

وقيل لبعضهم: ههنا أحد تستأنس بِهِ؟ فقَالَ: نعم، ومد يده إِلَى مصحفه ووضعه فِي حجره وقال: هَذَا، وفي معناه أنشدوا:

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٦٥).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٦٦).

(٣) الرسالة القشيرية (١/ ٢٢٥).

وكتبُك حولي لا تفارِق مضجعي * وفيها شِفاءٌ للــذي أنا كـاتِمُ[1]

القصة الثامنة عشر

حكى أَبُو محمّد الجريري قال: كنت عِنْدَ الجنيد فِي حال نزعه، وكَانَ يَوْم الجمعة ويوم نيروز وهو يقرأ الْقُرْآن فختم، فقُلْتُ فِي هذه الحالة: يا أبا القاسم !، فَقَالَ: ومَنْ أَوْلى بذلك منّي وَهُوَ ذا تطوى صحيفتي[2].

القصة التاسعة عشر

سمعت أبا حاتم السِّجِستاني يَقُول: سمعت أبا نصر السراج يقُول: بلغني عَن أَبِي محمّد الهروي أنّه قال: مكثتُ عنْدَ الشبلي الليلة الَّتِي مَات فِيهَا، فكان يَقُول طول ليلته هذين البيتين:

كُلُّ بَيْت أَنْتَ ســاكنُـه * غَـيْرُ محتاجٍ إِلَـــى السُّرُجِ

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٢٢٥).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٦٨).

وَجْهُــك المأمــولُ حُجّتُــنا * يَــوْم يَأْتِــي الـنَّاسُ باـحُجَجِ[1]

القصة العشرون

وقيل لبشر الحافي وقَد احتضر: كأنك يا أبا نصر تحبّ الحياةَ، فقال: القدوم على الله عَزَّ وَجَلَّ شديدٌ.

القصة الأولى والعشرون

وقيل: كَانَ سُفْيَان الثَّوْرِي إِذَا قَالَ لَهُ بَعْض أَصْحَابه إِذَا سافر تأمر بشغل يَقُول: إِن وجدت الْمَوْت فاشتره لي، فلمّا قربتْ وفاته كان يقُول: كُنَّا نتمنّاه فَإِذَا هُوَ شديد.

وَلَمّا حضرتْ بلالاً الوفاةُ ، قالت امرأتُه : واحزناه، فقال: بَل واطرباه، غداً نلقى الأحبّةَ، محمدا وحزبَه.

وقيل: فتح عَبْد الله بْن الْمُبَارَكِ عينيهِ عِنْدَ الوفاة وضحك وَقَالَ: لمثل هَذَا فليعمل العاملون.

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٦٩).

وقيل: كَانَ مكحول الشامي الغالب عَلَيْهِ الحزن، فدخلوا علَيْهِ فِي مرض موته وهُوَ يضحك، فقيل لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: ولِمَ لا أضحك وَقَدْ دنا فراق مَنْ كنت أحذره، وسرعة القدوم عَلَى مَن كنت أرجوه وآمله.

القصة الثانية والعشرون

حكي عَن إِبْرَاهِيم الرقي أَنَّهُ قال: قصدت أبا الخير التيناتي – وكان مشهورا بالكرامات – مسلِّما عَلَيْهِ، فصلّى صلاةَ المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا، فقلْتُ في نفسي: ضاعتْ سفرتي، فلما سلّمتُ .. خرجتُ للطهارة فقصدني السبع، فعدتُ إليه وقلتُ: إِنّ الأسد قصدني، فخرج وصاح عَلَى الأسد وقال: ألم أقلْ لَك لا تتعرّض لضيافتي؟ وتنحى وتطهّرتُ فلما رجعتُ .. قال: اشتغلتم بتقويم الظواهر، فخفتم الأسدَ واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسدُ(١).

القصة الثالثة والعشرون

ويروى أن حبيب العجمي أتت امرأته تسأله النفقةَ والمعاشَ فقال لها: أنا أخدم الآن في باب كريمٍ وأستحي أن أطلبه الأجرةَ ووعدني

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٣٠).

الأجرَ بعد عشرة أيام، فسألها بهذا واشتغل بالعبادة، فبقدرة الله تعالى بعد تمام عشرة أيام أتى إلى بيت حبيب شابٌ منوَّر الوجه ودخل الدار ومعه ثلاثمائة درهم في صرّة وحملٌ مملوء دقيقاً، وحمّال آخر يحمل سمناً وعسلاً وسلّمه بيد امرأة حبيب وقال: أرسل هذا مستعملُ حبيب بعمله يقول: فليزدْ حبيبٌ بعمله نزيده في أجره. وقال: سلِّمي على حبيب وقُولي له هكذا !، وذهب، فلما أتى حبيب وقت المساء وقد تم عنده وقت الوعد وهو متفكر خجل من المرأة فشم رائحة طعام فتعجّب ودخل الدار فقصّت المرأةُ عليه قصّةَ الشّاب والدرهم والمأكول الذي جاء به فبكى، وقال: العمل عشرة أيام هذا الأجر يعطيه هذا الكريم، فكيف لعمل عمر العبد عطاؤه؟ فصار مستجابَ الدعوة[١].

القصة الرابعة والعشرون

حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى:

حكي عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال: دخلت مع حاتم إلى الري و معنا ثلاثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب و لا طعام، فدخلنا على رجل

(١) موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان (٢٢/ ٢٣٨) .

من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة؟ فإني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل، قال حاتم: عيادة المريض فيها فضل، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضا أجيء معك، وكان العليل محمد بن مقاتل - قاضي الري-، فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن، فبقي حاتم متفكرا يقول: باب علام على هذه الحالة؟ ثم أذن لهم فدخلوا، فإذا دار حسناء فوراه واسعة نزهة وإذا بزة و ستور، فبقي حاتم متفكرا، ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه و إذا بفرش وطيئة و هو راقد عليها و عند رأسه غلام وبيده مذبة، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أنْ اجلس، فقال: لا أجلس، فقال: لعل لك حاجة، فقال: نعم، قال: وما هي ؟ قال: مسألة أسألك عنها، قال: سلْ، قال: قمْ فاستوِ جالسا حتى أسألك!، فاستوى جالساً، قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته؟ فقال: من الثقات حدَّثوني به، قال: عمن؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن رسول الله ﷺ ، قال: ورسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ، قال حاتم: ففي ما أدّاه جبرائيلُ عليه السلام عن الله عزّ وجلّ إلى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأصحابُه إلى الثقات

وأداه الثقاتُ إليك، هل سمعتَ فيه: من كان في داه إشراف وكان تسعتها أكثر كان له عند الله عزّ وجلّ المنزلة أكبر ؟ قال: لا، قال: فكيف سمعتَ؟ قال: سمعتُ أنه مَن زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدّم لآخرته كانت له عند الله المنزلة، قال له حاتم: فأنت بمن اقتديتَ؟ أبالنبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون و نمروذ أول من بنى بالجص والآجر؟ يا علماء السوء، مثلكم يراها لجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها، فيقول: العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه؟ وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا، وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسي بقزوين أكثر توسعا منه، فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال: رحمك الله، أنا رجل أعجمي أحب أن تعلّمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي، كيف أتوضأ للصلاة؟ قال: نعم وكرامة يا غلام، هات إناء فيه ماء، فأتى به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال: هكذا، فتوضأ فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك، فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا فقال الطنافسي: يا هذا، أسرفتَ، قال له حاتم: فبماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعا، فقال حاتم: يا سبحان الله العظيم، أنافي كف من ماء أسرفت

وأنت في جميع هذا كله لم تسرف؟! فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم، فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما، فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، أنت رجل ولكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته، قال: معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله، ما أعقله، قوموا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن، ما السلامة من الدنيا؟ قال: يا أبا عبد الله، لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم لا جهلَهم وتمنع جهلَك منهم وتبذل لهم شيئَك وتكون منشيئهم آيسا، فإذا كنت هكذا سلمت.

ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة، فقال: يا قوم، أيّة مدينة هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ ، قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلي فيه؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطئ بالأرض، قال: فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم؟ قالوا: ما كان لهم قصور، إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض، قال حاتم: يا قوم، فهذه مدينة فرعون، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا: هذا العجمي يقول: هذه مدينة فرعون، قال الوالي: ولِمَ ذلك؟ قال حاتم: لا تعجلْ عليَّ، أنا رجل أعجمي

غريب دخلتُ البلد فقلت: مدينة مَن هذه؟ فقالوا: مدينة رسول الله ﷺ فقلت: فأين قصره؟ وقص القصة، ثم قال: وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١] فأنتم بمن تأسيتم، أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر؟ فخلّوا عنه وتركوه[١].

القصة الخامسة والعشرون

حكاية: يقال: أن أنو شروان الملك العادل خرج يوماً إلى الصيد فانفرد من عسكره خلف الصيد فرأى ضيعة[٢] بالقرب منه وكان قد عطش، فقصد الضيعة، وأتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب، فخرجت صبية فأبصرته ثم عادت إلى البيت فدقّتْ قصبة واحدة من قصب السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء ووضعته في القدح، فرأى فيه تراباً وقذى فشرب منه قليلاً قليلاً حتى انتهى لآخره وقال للصبية: (سادناس) أي نِعْمَ الماء، لولا قذى كدّره، فقالت: (يا شرهيك) أنا

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٦٧).

(٢) الضيعة: القرية الصغيرة.

عمداً ألقيت فيه القذى، فقال: ولِمَ فعلتِ ذاك؟ فقالت: رأيتك شديدَ العطش، ولو لم يكن فيه القذى لشربتَه نوبة واحدة وقد يضرك شربه، فتعجب أنو شروان من كلامها وعلم أنها قالته عن ذكاء وفطنة. ثم قال لها: مِنْ كم عصرتِ ذلك الماءَ فقالت: من قصبة واحدة، فتعجب أنو شروان وأضمر في نفسه: أنّه إذا عاد يأمر بزيادة الخراج على تلك النّاحية. ثم عاد إلى تلك الناحية بعد وقت آخر واجتاز على ذلك الباب منفرداً وطلب ماء، فخرجت إليه تلك الصبية بعينها فعرفتْه ثم عادت لتخرج الماء، فأبطأتْ عليه فاستعجلها أنو شروان وقال: لأي شيء أبطأتِ؟ قالت: لأنه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد دققتُ ثلاث قصبات ولم يخرج منها قدر ما كان يخرج من قصبة واحدة، فقال أنو شروان: وما سبب ذلك العجز؟ فقالت: سببه تغيُّرُ نية السلطان، فقد قيل: أنه إذا تغيرتْ نية السلطان على قوم طارت بركتُهم وقلّتْ خيراتهم، فضحك أنو شروان وعجب من قول الصبية، وأزال من نفسه ما كان أضمره لهم، وتزوج الصبية لحسن ذكائها وفصاحة كلامها[1].

---

(١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٦٧).

القصة السادسة والعشرون

حكاية: حُكي أن الأمير عمارة بن حمزة كان في بعض الأيام جالساً في مجلس الخليفة المنصور، وكان يوم نظره في المظالم فنهض رجل على قدميه وقال: أنا مظلوم، فقال: من ظلمك؟ فقال: عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي وابتزّ ملكي وعقاري، فأمره المنصور أن يقوم من مقامه ويساوس خصمه لمحاكمة، فقال عمارة: يا أمير المؤمنين، إن كانت الضياع له فما أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ومالي حاجة في محاكمته، وما أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير بضياع ولا غيرها. فتعجب الأكابر الحاضرون من علو همته وشرف نفسه ومروءته[1].

القصة السابعة والعشرون

وأخرج ابن عساكِر عن أبي هُريرة قال: كان رجل لا يكاد يرى الخير ولَا يعرف له كثير عملٍ فمات فقَالَ النَّبِي ﷺ: « هل علمْتُم أَن الله أَدخل فلَانا الْجنَّة؟»، فتعجب الْقَوْم فقامَ رجل إِلَى أَهله فسأل امرأته عن عمله فقالت له: مَا كان له كثيرُ عملٍ غير أَنه قد كانت فيه خصْلَةٌ كان لا يسمع المؤذّن في ليلٍ وَلَا نَهَار إِلَّا قَالَ مثل قَوْله، فجَاء الرجل حَتَّى إِذا

(١) التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٤).

كَانَ من النَّبِي ﷺ بِحَيْثُ يسمع الصَّوْت نَادَى مُنَادِي النَّبِي ﷺ: أتيت أهل فلَان فسألتهم عَن عمله فأخبروك بِكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الرجل: أشهد أَنَّك رَسُول الله(١).

القصة الثامنة والعشرون

ومنها: أنه مَرَّ رجل على أرض فيها حرث، ومن جملة الحرث غلفق، فَسَرَق منه ملأ مظلَّة كانت على رأسه ثم وَضعها على رأسه، وسار وصاحب العَمَل يرى جميع ما فعله - وهو ساكت - لم يُرِدْ أن يَفْضَحه، فلما سار عارضه رجل وحرّكه، فسقطت وانتثر فَظنه سَرَقه، فصاح صاحب العمل عليه وقال: أصلحك الله، أردناه ذرْياً فبدَّدته، فَزَال عن ذلك الرجل ما ظنه به أو كما قال(٢).

القصة التاسعة والعشرون

حُمِل شخص إلى بعض الأمراء وقد اتُّهم بسرقة فقطع يده، فقيل للشخص: هذا جزاؤك، فقال: إني ما سرقت في هذه، ولكن سرقت قبل

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/ ١٨٣).

(٢) تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد (٢/ ٣٣).

مرة، فاتُّهم غيري فقُطعتْ يَدُهُ وأنا أنظر، فعاملني الله بأن قُطعت يدي بسرقة غيري[1].

القصة الثالثون

دخل رجل من بيت جبير في سَابق الزمان إلى تريم حاملاً زمالة مملوءة بَلَحاً، وأراد بيعه فلم يَنْفُق[2] له ولا أحد ساومه فيه، فضَجر[3] منه وطَرَحه عند باب بعض المخازن على دِكّة ورآه صاحب الدكان، فلما انصرف أخذه صاحب الدكان وباعه وميّز ثمنه، وبقي يتسَبَّب فيه ببيع وشراء حتى رَبا وزاد ، ثم بعد مدة سنين جاء ذلك الرَّجل صَاحب الزّمالة عند صاحب المخزن وَجَعل يتحدَّث معه، وقال: كنت أتيت سنةً من السنين إلى هذا الموضع بزمالة فيها بلح ورميت بها هنا، فقال له: أنت صاحبها؟ قال: نعم، قال: ادخل المخزن، خذْ هذا المال فإنه حَقّك

(١) تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد (٢/ ٣٢).

(٢) نفَق ينفُق أي راج ورُغب فيه.

(٣) ضجر: قَلِقَ.

!، وحكى له بما فعل بها، فأخذه وانصرف. وكانت لأهل تريم مناقب حَسَنة، هذه من جملتها[1].

القصة الأولى والثلاثون

ومنها: أنَّه مَرَّ رجل عليه دين لآخر على صاحب الدين ولم يسلّم عليه، فتعجَّب منه وقال: لِمَ تركتَ السلام؟ قال: حياءً منك لأجل دَينك، ما أردت أن تَعْرف أني هنا، وكان بصيراً، فقال له: أنت بريء من الدين، فتعالِ بنا إلى الدَّار !، فدخل به داره وأكرمه[2].

القصة الثانية والثلاثون

وذكر يوماً رضي الله عنه ولاة الأرض وتَغَيّر أحوالهم فقال: جاءنا فلان، فقلنا له: أنتم اليوم والرّعية أموات، ما الحيُّ إلا آل فلان و يافع، ولكنهم أول من يُخَرّب؛ لأن من عَمَرَ نفسه بخراب غيره خَرُب، وهذا سَلَفٌ مجرّب: إما أسرع وإما أبطأ.

(١) تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد (٢/ ٣٢).

(٢) تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد (٢/ ٣٢).

فقد كان بعض السَّادة معه ساقية ماء، وفي البلاد نقيب متسلط في وقته، فأراد أن يَقْتَطع من ساقية الشَّريف شَيْئاً، فَجَمع لذلك جماعة من العمارين وأمرهم بذلك، فقالوا: لا نفعل حتى تَبْتدئ أنت، فأزال بيده حَجَرات، ثم فعلوا كَفِعْله حتى أخذ منه الذي أراد، فلما أُخبر الشريف قال: خَرّب الله دياره في الدنيا والآخرة، فمَكَث أياماً لم يصبه شيء، فتعجّب السيد وقال: هذا تعدى علينا عدواناً، ثم لم يصبه شيء، هذا عجب، فمَرّ يوماً مقبلاً من التربة، فسمع قائلاً يقول: هي تقع غير ما بَيْن عاجل وآجل، فكان ذلك النقيب في تلك الليلة أو اليوم يَنْزح على بئر الحصن يريد أن يَسْقي فرسه وحوله جماعة؛ إذ أفلت الدّلو من يده حتى سقط، فقالوا له في ذلك، فقال: قطعت يدي يدُ القدرة، فخرج فى يده جرح، وهي التي قطع بها الساقية، ثم خرج إلى ذراعه ثم إلى حلقه ثم هَلَك.

وهكذا سنة اللهّ في خَلْقه يَنْتقم الله بالظَّالمين ثم ينتقم منهم، وإذا تعدى الإنسان .. ضَرَّ نفسه وضَرَّ غيره، وإذا بقي على حِشْمته ولم يتعَدَّ حدّه .. نفع نفسه ونفع غيره، ما هو إلاّ إذا رأيتَ إنساناً مائلاً عن الحق .. انصحْه بما أمكنك: إما بالإشارة أو بالتَّعريض، فإن قبل .. فذاك،

وإلاّ .. مِلْ عنه وخَلّه لربِّك؛ فإن ذلك حَظّه منه، فكل من رأيتَه على غير الطريق خله لربك[1].

القصة الثالثة والثلاثون

أخبرنا أبو عبدالرحمن السلمي قال: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت محمد بن داود الدقي يقول: عن أبي العباس بن عطاء قال: سعى ساعٍ بالصوفية إلى الخليفة فقال: إن ههنا قوما من الزنادقة يرفضون الشريعةَ، فأخذ أبو الحسين النوري وأبو حمزة والذقام، وتستر الجنيد بالفقه فكان يتكلم على مذهب أبي ثور، فأدخلوا على الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم، فبدر أبو الحسين إلى السيّاف؛ ليضرب عنقَه، فقال له السيّاف: ما لك بدرتَ من بين أصحابك؟، فقال: أحببت أن أُوثر أصحابي بحياة هذه اللحظة، فتعجّب السياف من ذلك وجميع من حضر، وكتب به إلى الخليفة، فردّ أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق، فقام إليه النوري فسأله عن أصول الفرائض في الطهارة والصلاة، فأجابه ثم قال: وبعد هذا فإن لله عبادا يأكلون بالله، ويلبسون بالله، ويسمعون بالله، ويصدرون بالله، ويردون بالله، فلما سمع القاضي

---

(١) تثبيت الفؤاد بذكر مجالس القطب عبدالله الحداد (٢/ ٧٦).

كلامه بكى بكاءً شديداً، ثم دخل على الخليفة، فقال: إنْ كان هؤلاء القومُ الزنادقةَ فما على وجه الأرض موحِّدٌ[1].

القصة الرابعة والثلاثون

روي عن حذيفة المرعشيّ وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم، فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟، فقال: بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب. فنظر إلي إبراهيم وقال: يا حذيفة أرى بك الجوع، فقلت: هو ما رأى الشيخ، فقال: علي بدواةٍ وقرطاس، فجئت به إليه فكتب: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى، وكتب شعرا:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عاري

هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري

مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار

---

(١) شعب الإيمان (٥/ ١٤٤).

ثم دفع إليّ الرقعةَ فقال: اخرجْ ولا تعلّقْ قلبك بغير الله تعالى، وادفع الرقعةَ إلى أوّل مَن يلقاك !، فخرجت: فأول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعةَ فأخذها، فلما وقف عليها بكى وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: هو في المسجد الفلاني، فدفع إليّ صرة فيها ستمائة دينار، ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة، فقال: هذا نصراني، فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال: لا تمسّها؛ فإنه يجيء الساعة !، فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكبّ على رأس إبراهيم يقبله وأسلم[1].

القصة الخامسة والثلاثون

قيل لبحّار: ما أعجب ما رأيت من عجائب البحر؟ قال: سلامتي منه[2].

وإن من أعجب ما رأيت في أمور الاجتهاد المعاصر هو أنني رأيت في ألمانيا أحد المسلمين الجدد، فتحدثت معه عن الإسلام وعما قد قرأه منه وعنه، وعما قد قرأه من التشريع الإسلامي في كتبه ومصادره،

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٧٠).

(٢) روح البيان (٤/ ٣٣).

فأخبرني بما لا أريد أن أعلق عليه وهو لا يعرف اللغة العربية بعد، أخبرني بأنه ليس بحاجة إلى دراسة الإسلام في مصادره الفقهية؛ لأنه مجتهد ..؟!

أمورٌ تضحكُ السفهاءُ منها ويبكي من عواقِبها الحليمُ[1].

قال جامع هذه القصص العجيبة: أنه قد سمع صوت من يقرأ وهو في قرهفي تربة تريم بل في غير تريم من مدن وقرى حضرموت من الأولياء والصالحين، وأنا ممن يصدق بمثل ذلك، وإذا يسّر الله لي لجمعتها وذكرتها في ضمن هذه القصص إلا أنّني الآن لم تتيسر المادة العلمية بعد، وإليك شواهد على صدق مثل ذلك ما ذكر الإمام السّيوطيّ في كتابه شرح الصّدور بشرح حال الموتى والقبور قال:

القصة السادسة والثلاثون

وأخرجه أبو نعيم في دلائِل النّبوّة من وجه آخر عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتُنِي ليالِي الحرَّة ومَا في مسجدِ رسول الله ﷺ غيرِيْ، وما يأتِي وقت صلاة إلّا سمعتُ الأذَان من القَبْر ثمّ أتقدم فأقيم

(١) المتفيقهون أ.د. محمد حسن هيتو (ص: ٣٤).

وأصلّي، وإِنّ أهل الشَّام يدخلون زُمَراً[1] فيقولون: انظروا إلى هذا الشّيْخ المجنُون[2].

القصة السابعة والثلاثون

وأخرج اللالكائي في السّنة عن يحيى بن مَعِين قال: قال لي حفّار: أعجب ما رأيتُ من هذه المقابر؛ أنّي سمِعتُ من قبرٍ أنيناً كأنين المرِيض وسمعت من قبرٍ والمؤذن يُؤذن وهو يجِيبه من القَبْر[3].

القصة التاسعة والثلاثون

وأخرج عن الحارث بن أسد المحاسبي قال: كنت في الجَبانَة[4] فسمِعت من قبرٍ مرَّتَيْنِ أوه من عَذَاب الله.

القصة الأربعون

وأخرج ابن عَسَاكِر في تاريخه بسنده من طريق الأَعْمَش عن المنهال بن عمْرو قال: أَنا واللهِ رأيت رأسَ الْحُسَيْن رضي الله عنه حين

---

(١) أي جماعةً.

(٢) دلائل النبوة (ص:٥٦٧).

(٣) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: ٢٠٩).

(٤) أي المقبرة.

حُمِل وأَنا بدِمَشْق وبين يدي الرّأْس رجل يقْرَأ سورةَ الكَهْف حتّى بلغ قوْلَه تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف:٩] قال: فأنطق الله الرّأسَ بلسانٍ ذَرِبٍ(١) فقال: أعجب من أَصْحَابِ الكَهْف قَتْلِي وحَمْلِيْ(٢).

القصة الأولى والأربعون

وفي تاريخ الحَافظ الذّهبيّ: أنّ أحمد بن نصر الْخُزَاعِيّ أحد أئمّة الحديث دعَاهُ الواثق إلى القوْل بِخلق الْقُرْآن فأبى فضرب عُنُقَه وصلب رَأسَه ببغداد ووكل بالرّأْسِ مَن يحفظه ويصرفه عن القِبلة برُمْح، فذكر الْموكّل به أنه رآهُ باللّيْلِ يستدير إلى القبلة بوجهِهِ فيقْرَأ سورة يس بلسَان طَلِقٍ. قال الذَّهَبِيّ: رويت هذه الحِكَايَة من غير وَجهٍ، ومِن طرقِها مَا أخرجه الْخَطِيب عن إبْرَاهِيم بن إِسْمَاعِيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خَالِي، فلمّا قُتل في المحنة وصلب أُخْبرتُ أنّ الرّأْس يقْرَأ الْقُرْآنَ، فمضيتُ فَبِتُّ قَرِيباً منه، فلمّا هدأت العيونُ سَمِعتُ الرَّأْسَ يقْرَأ: ﴿الٓمٓ

(١) ذَرِبٌ: فَصِيْح.

(٢) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: ٢٠٩).

﴿ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾ [العنكبوت:١-٢]

فاقشعرّ جلديْ(١).

القصة الثانية والأربعون

وأخرج ابْن عَسَاكِر من طريق أبي صالح كاتِب اللّيْث عن يحيى بن أبي أَيُّوب الْخُزَاعِيّ قال: سمعتُ مَن يذكر أنّه كان في زمن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه شَابٌ متعبِّد قد لزم المسجدَ، وكان عمرُ به معجِبًا، وكان له أَبٌ شيخ كَبِير، فكان إذا صلى الْعَتَمَةَ انصرف إلى أبيه، وكان طريقه على باب امرأةٍ فافتتنتْ به، فكانت تنصب نفسَهَا له على طريقه، فمرّ بها ذات ليْلَةٍ فما زالت تغويه(٢) حتّى تبعها، فلما أتى الْبَابَ دخلتْ وذهب يدْخل، فذكر الله وخلى عنه ومثلتْ هذه الْآيَةُ على لِسَانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف:٢٠١] ، فَخرّ الفَتى مغشيا عليه، فدعَتِ المرْأَةُ جارِيَةً لها فتعاونتا عليه فحملتاه إلى بابه واحْتبسَ على أبيه، فخرج أَبوهُ يَطْلبهُ فإذا به على البَاب مغشيا عليه، فدعا بعضَ أهله فحملُوهُ فأدخلوه، فمَا أفاق

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: ٢١٠).

(٢) أي تجامِله ليرغب فيها.

حتّى ذهب من اللَّيْل ما شاء الله ، فقال له أبوه: يا بُنَيَّ، ما لك؟ قال: خير، قال: فإنِّي أسألك بِالله، فأخْبره بالْأمر، قال: أَيَّ بنيّ، وأيَّ آيَةٍ قرأتَ؟ فقرأ الْآيَةَ الّتي كان قرأها فخرّ مغشيا عليه فحرّكوه فإذا هو ميّتٌ فغسلوه وأخرجوه ودفنوه ليْلًا، فلما أصْبحُوا رفع ذلك إلى عمر رضي الله عنه فجار عمر إلى أبيه فعَزَاهُ به وقال: أَلا آذنتَني، قال: يا أَمِيرَ المؤمنِينَ، كان ليْلًا، قال عمر: فاذهبوا بنا إلى قبره، فأتى عمر ومن معه القبْرَ فقال عمر: يا فلانُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦] ، فأجابه الفتَى مِنْ دَاخل القَبْر: يَا عمر، قد أعطانيهما رَبِّي[١].

القصة الثالثة والأربعون

سمعتُ من العم عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ في يوم الأربعاء تاريخ تسعة وعشرون رجب في مشطة في حول جده في كلمته: أن الحبيب عبد القادر بن أحمد السقّاف ركب السيارةَ، فأقفل بعضُ الناس بابَ السيارة بسرعةٍ فوقع الباب على أصابع الحبيب بدون قصدٍ، ثمّ لمّا بعدت السيارةُ من ذلك الرجل قال الحبيبُ للسائق: قِفْ قليلا وافتح البابَ، ففتح البابَ فوجد البابَ قد أغلق على أصابعه حتى كادتْ

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: ٢١٠).

تنفصل، فقال السائق: لماذا ما أخبرتنا يا حبيب؟ قال: ما بَغَيْنا نكسر خاطرَ ذلك الرجل، قفل البابَ على نية خدمتِنا، ما أردنا كسرَ خاطره، أو ما هذا معناه.

القصة الرابعة والأربعون

كان الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي رحمه الله تعالى يحلق منذ صغره عند حلّاقٍ من أهل الغرفة حتى كبر هذا الحلّاقُ وصارت يده ترتعش ما تكاد تمسك الموسى بشكلٍ جيدٍ و الحبيبُ استمر في الحلاقة عنده، فما كان ينتهي الحلّاق مِن حلاقة الحبيب إلا وقد أحدثت في رأسه كذا جرح، فقالوا له: لو غيّرتَ الحلّاقَ! فقال: هذا الحلاقُ صبر علينا في الصغر، ونحن نصبر عليه في الكبر، أو ما في معناه. والله أعلم .

القصة الخامسة والأربعون

قال الدّميري[1] في رحلة ابن الصلاح، وتاريخ ابن النجار، في ترجمة يوسف بن علي بن محمد الزنجاني الفقيه الشّافعيّ، قال: حدثنا الشّيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله، عن القاضي الإمام أبي الطيب أنه قال: كنا في حلقة النظر بجامع المنصور ببغداد، فجاء شاب خراساني

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٩٥) .

يسأل عن مسألة المصراة، ويطالب بالدليل فاحتج المستدل بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، الثابت في الصحيحين وغيرهما، فقال الشاب، وكان حنفيا: أبو هريرة غير مقبول الحديث، قال القاضي: فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فهرب الناس وتبعت الشاب دون غيره فقيل له: تب تب فقال: تبت فغابت الحية ولم يبق لها أثر. قال ابن الصلاح: هذا إسناد ثابت، فيه ثلاثة من صالحي أئمة المسلمين القاضي أبو الطيب الطبري، وتلميذه أبو إسحاق وتلميذه أبو القاسم الزنجاني. ويقرب من هذا ما رواه أبو اليمن الكندي، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حمدان، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم النحوي، قال: أخبرنا الكريمي، قال: حدثنا يزيد بن قرة الدراع، يرفعه إلى عمر بن حبيب، قال: حضرت مجلس الرشيد فجرت مسألة المصراة فتنازع الخصوم فيها وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بالحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ ، فرد بعضهم الحديث، وقال: أبو هريرة متهم فيما يرويه، ونحا نحوه الرشيد ونصر قوله. فقلت: أما الحديث فصحيح وأبو هريرة رضي الله تعالى عنه صحيح النقل فيما يرويه عن النبي ﷺ ، فنظر إلى الرشيد نظر مغضب، فقمت من المجلس إلى منزلي فلم يستقر بي

الجلوس حتى قيل: صاحب الشرطة بالباب. فدخل إلى فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن. فقلت: اللهم إنك تعلم أني قد دافعت عن صاحب نبيك محمد ﷺ ، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه. قال فأدخلت على الرشيد فإذا هو جالس على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه وبيده السيف، وبين يده النطع، فلما رآني قال: يا ابن حبيب ما تلقاني أحد بالرد ودفع قولي مثل ما تلقيتني به! فقلت: يا أمير المؤمنين إن الذي حاولت عليه فيه إزراء على رسول الله ﷺ ، وعلى ما جاء به. فقال: كيف ويحك؟ قلت: لأنه إذا كان أصحابه كذابين، فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام من الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والحدود، كلها مردودة غير مقبولة؛ لأنهم رواتها، ولا تعرف إلا بواسطتهم، فرجع الرشيد إلى نفسه، وقال: الآن أحييتني يا ابن حبيب أحياك الله ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم.

القصة السادسة والأربعون

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي:

كان رجل في صحراء فعرض له الأسد فهرب منه فوقع في بئر فوقع الأسد خلفه فإذا في البئر دب فقال له الأسد منذ كم أنت ههنا قال منذ أيام وقد قتلني الجوع أنا وأنت نأكل هذا وقد شبعنا فقال الدب فإذا

عاودنا الجوع فما نصنع وإنما الرأي أن نحلف له أننا لا نأذيه ليحتال لخلاصنا وخلاصه فإنه أقدر على الحيلة منا فحلفا له فتشبث حتى وجد نقبا فوصل إليه، ثم إلى الفضاء فتخلص وخلصهما[1]. ومعنى هذا أن العاقل لا يترك الحزم في كل أموره، ولا يتبع شهوته لا سيما إذا علم أن فيها هلاكه بل ينظر في عاقبة أمره ويأخذ بالحزم في ذلك[2].

القصة السابعة و الأربعون

روي عن إمام أحمد ابن حنبل عن نوف البكالي قال: انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السمك فجعل الكافر يلقي شبكته ويذكر آلهته فيجيء مدفقا، ويلقى المؤمن ويذكر الله عز وجل فلا يجيء شيء قال: فتعاودا ذلك إلى مغيب الشمس ثم إن المؤمن صاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء، ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته، فأسف ملك المؤمن فقال: رب عبدك هذا المؤمن الذي يدعوك رجع وليس معه شيء، وعبدك الكافر رجع وقد امتلأت سفينته، قال الله عز وجل لملك المؤمن: تعال فأراه مسكن

(١) ابن الجوزي ، الأذكياء : ص: ٢٤٣

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى : ٢/ ٤١

المؤمن في الجنة فقال: ما يضر عبدي المؤمن ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا، وأراه مسكن الكافر في النار فقال: هل يغني عنه شيء أصابه في الدنيا؟ قال: لا والله يا رب [1].

القصة الثامنة والأربعون

روي عن أبي العباس بن المسروق، قال: كنت باليمن فرأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وعلى جانبه ابنة له، كلما اصطاد سمكة تركها في دوخلة معه، فتردها الصبية إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئا فقال: يا بنية أي شيء صنعت بالسمك؟

فقالت: يا أبت سمعتك تروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقع سمكة في شبكة إلا غفلت عن ذكر الله» فلم أحب أن آكل شيئا غفل عن ذكر الله. فبكى الرجل ورمى بالصنارة[2].

(١)حياة الحيوان الكبرى – (١ / ٤٠٠) الزهد ، لإمام أحمد ابن حنبل : ص :٢١٧.

(٢) ابن الجوزي ، صفة الصفوة : ٢/ ٥٣٥

القصة التاسعة والأربعون

قال الدّميريّ في حياة الحيوان وفي كتاب الثواب ، عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أنه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة، فلم توجد حتى وجدت بعد كذا وكذا يوما فاشتريت بدرهم ونصف، وشويت وحملت له على رغيف، فقام سائل على الباب فقال للغلام: لفها برغيفها وادفعها إليه .

فقال الغلام: أصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا يوما، فلم نجدها فلما وجدناها واشتريناها بدرهم ونصف أمرت أن ندفعها له نحن نعطيه ثمنها، فقال: لفها وادفعها إليه فقال الغلام للسائل: هل لك أن تأخذ درهما وتدع هذه السمكة؟ فأخذ منه درهما وردها، فعاد الغلام وقال له: دفعت له درهما وأخذتها منه فقال له: لفها وادفعها إليه، ولا تأخذ منه شيئا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «١» «أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له»[1].

(١) الدميري، حياة الحيوان الكبرى – (١ / ٤٠١).

روى الطبراني، بإسناد صحيح، عن نافع، أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما اشتكى فاشتهى عنبا فاشترى له عنقود عنب بدرهم، فجاء مسكين فقال: اعطوه إياه فخالف إنسان، فاشتراه بدرهم ثم جاء به إليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم في الرابعة أكله ولو علم ذلك ما ذاقه(١)

هذا ما يسّر الله لي جمعه عسى الله تعالى أن ينفع به الخواص والعوام وأن يجعله خالصا لوجهه وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم والحمد لله ربّ العالمين في شهر رجب الأصب سنة ١٤٣٥ من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) الطبراني، المعجم الكبير - (١٢ / ٢٦٦).